التفسير الموضوعي لسورة العصر

The objective interpretation of Surat Al - Asr

* بروفيسور دكتور دل آقا وقار

Abstract

This academic paper presents the Mawdoyi interpretation of Asr surah of Holy Quran. Asr surah is the second smallest surah in holy Quran after Kauthar surah. Because of having the key Islamic issues, Asr surah has its distinguished importance. According to Imam Shafi, Asr surah is enough for the guidance of humanity and muslims. Asr surah discusses the issues related to Iman, good deeds and Wasiyah. These issues are the main pillers of Islamic Shariah. Keeping in mind these issues and the importance of this surah , I have selected to do the Mawdoyi interpretation of this surah

Keywords: *Mawdoyi interpretation, importance*

المقدمة:

هذه السورة من قصار السور القرآنية بعد سورة الكوثر، و هي سورة مكية عند الجمهور و مدنية عند مجاهد، و قتادة و مقاتل.[1] لها ثلاث آيات. والسور المكية كما هي معلوم تنص على ثلاث مسائل و هي عبارة عن التوحيد، إثبات الرسالة و ثبوت اليوم الآخرة.

و هى تشبه فى عدد الآيات بسورة النصر والكوثر و لها أربع عشرة كلمة و ستون حرفا و لا يوجد فى القرآن سورة بدأت أو ختمت بما بدأت و ختمت به هذه السورة.[2]

أهمية تفسير الموضوعى لسورة العصر والأسباب الدافعة:

التفسير الموضوعى لهذه السورة لا يخلو عن الأهمية والفوائد و إليک أهميتها فيما يلى:

1. لهذه السورة أهمية عظيمة لأنها تنص على مهام الأمور و هى خلاصة الشريعة الإسلامية لأنها تركز على الإيمان والعمل الصالح والتواصى بالحق والصبر.
2. و ما أحسن ما قاله الإمام الفقيه الشافعى، لو لم ينزل غير هذه السورة لكفت الناس جميعا لما فيها من المسائل والأحكام التى يحتاج إليها الناس و كفاها أهمية حيث جمع الله تعالى فيها.
3. العناصر الرئيسية فى السورة القصيرة و هذا من أهم جوانب الإعجاز لهذه السورة. أما الأسباب الدافعة للكتابة فى هذه السورة فهى ما يلى.
4. نستطيع أن ندرک معانى الكلمات القرآنية واضحة لهذه السورة، و دراسة كل ما يتعلق بالآيات أو السورة من المناسبة و إستخراج الأحكام الفقهية.
5. الإستيعاب الكامل لمعرفة الآيات المتعلقة بهذه السورة.
6. الدراسة الشاملة لموضوع المعين و ما يتعلق به من معرفة سبب النزول.

لكل شئ دافع (أو سبب) يدفع الإنسان ليقوم بإجراء عمل ما. فالأسباب الدافعة للكتابة فى تفسير هذه السورة فيما يلى:

* كلية الشريعة، جامعة ننجرهار، أفغانستان

أولا: التعارف بالتفسير الموضوعى و معرفة مراده و معناه لغة و اصطلاحا و معرفة زمان نشأته.

ثانيا: الرغبة الذاتية للكتابة فى التفسير الموضوعى لهذه السورة.

ثالثا: الدعوة إلى معرفة التفسير الموضوعي من خلال هذه السورة و بيان ما له و ما عليه.

رابعا: معرفة كيفية الترتيب والكتابة لهذه السورة.

خامسا: دراسة المسائل الأساسية التى تدور حولها التفسير الموضوعى لهذه السورة.

سادسا: معرفة المحور الرئيسي و إدراكه فى تفسير هذه السورة.

تلك هى الأسباب الدافعة التى دفعتني أن أكتب فى التفسير الموضوعي لسورة العصر. فنسأل الله تبارک و تعالى التوفيق والسداد.

نظرة عابرة الى الكتابة فى هذا الموضوع:

لقد كتبت كتابات قيمة فى التفسير الموضوعى و هى تخبرنا عن النشأة هذا التفسير و تطوره و ما يحتاج إليه الإنسان من المعرفة الشاملة للمسائل القرآنية الحديثة.

لكنى ما وجدت كتابا أو مقالا قيما كتب حول التفسير الموضوعى لسورة العصر لذلک أردت أن أكتب مقالا علميا يتعلق بالتفسير الموضوعى لسورة العصر. نستطيع أن نقدم معلومات فيما يتعلق بالتفسير الموضوعى لهذه السورة من المسائل الجديدة المستحدثة.

أردت أن أقوم بتفسير الموضوعي لهذه السورة لكن قبل البحث حول تفسير هذه السورة أحب أن أقف برهة من الزمن مع المسائل المتعلقة التالية لهذه السورة.

١- مفهوم مصطلح التفسير الموضوعي و معناه:

٢- فضائل هذه السورة

٣- مقاطع هذه السورة

٤- المناسبة بين سورة العصر والسورة التى قبلها و بعدها (المناسبة بين سورة السابقة واللاحقة)

٥- ما يستنبط من هذه السورة من المسائل والأحكام

١- مفهوم مصطلح تفسير الموضوعي ومعناه:

هذا المصطلح حديث النشأة جديدا كما يقول الدكتور مصطفى مسلم (لم يظهر هذا المصطلح – التفسير الموضوعي- إلا فى القرن الرابع عشر الهجري. عندما قررت هذه المادة ضمن مواد قسم التفسير بكلية أصول الدين بالجامع الأزهر، إلا أن لبنات هذا اللون من التفسير و عناصره الأولى كانت موجود منذ عصر التنزيل فى حياة الرسول صلى الله عليه وسلم)[3]. يعنى أن هذا المصطلح العلمي لم يكن معروفا بين أوساط العلماء والمتخصصين قبل ذلک، بل يعتبر هذا المصطلح فى علم الحديث عيبا أو بعبارة أخرى الوضع فى الحديث جريمة و يستحق الواضع عقوبة شنيعة سيئة كما يقول الرسول صلى الله عليه وسلم: (من كذب على متعمدا فليتبواء مقعده من النار)[4]

الوضع فى الحديث يعتبر كذبا على الرسول صلى الله عليه وسلم والكذب على الرسول صلى الله عليه وسلم جريمة عظيمة و هذا الحديث وعيد للذين يكذبون على الرسول صلى الله عليه وسلم.

أما معنى التفسير الموضوعي الذى نحن بصدده الآن، فهو عبارة عن دراسة موضوع معين يتعلق بكتاب الله عز وجل سواء كان هذا الموضوع يستوعب القرآن كله كدراسة أهمية العمل الصالح فى كتاب الله عزوجل أو الايمان أو قضية الهجرة أو طلب العلم أو كان يتعلق بالسورة الواحدة التواصي بالحق أو كالتواصي بالصبر من خلال دراسة سورة العصر دون المراجعة الى بقية السور.

أما معنى التفسير الموضوعي فهو فيما يلى: الوضع فى اللغة هو جعل الشئ فى مكان ما، أو بمعنى الالقاء والتثبيت فى المكان كما يقال ناقة واضعة و معنى الموضوعى هو نسبة الى الموضوع الذى هو المادة التى يؤخذ و يتركب[5] و يلاحظ هذا المعنى فى التفسير الموضوعى، لأن المفسر يرى على معنى واحد لا يتجاوز الى غيره[6].

والتعريف المناسب له، هو عبارة عن قضية معينة تعرض لها القرآن الكريم من جوانب الحياة البشرية كجانب العقيدة أو السلوك الاجتماعي أو مظاهر الكون. و كذلك قال أحمد بن عبد الله الزهرانى فى تعريفه (هو افراد الآيات القرآنية التى تعالج موضوعا واحدا و هدف واحد بالدراسة والتفصيل.)[7]

أو عبارة أخرى، التفسير الموضوعي عبارة عن جمع الآيات المتعددة المتعلقة بموضوع الواحد و دراسة هذه الآيات بحيث نستفيد منها فى حياتنا اليومية.

و من أشهر التعريفات المعروفة للتفسير الموضوعي، هو علم يبحث (عن القضايا حسب المقاصد القرآنية من خلال سورة أو أكثر)[8]

٢– فضائل سورة العصر:

لكل سورة فضائل و يكفيها فى باب الفضائل لسور القرآن بأن الله عز وجل يعطي لقارئ القرآن بكل حرف من حروف القرآن التي يتلوها القارئ عشر حسنة ثم يبين الرسول صلى الله عليه وسلم هذه الفضائل فى المثال المعروف المشهور قائلا و إليك طرف الحديث كالآتي: (أما إنى لا أقول (الم) حرف و لكن ألف و لام و ميم، فان الله يأجركم على تلاوة كل حرف عشر حسنات.[9]

و فى حديث آخر رواه الترمذى عن محمد بن كعب القرظي عن عبد الله بن مسعود يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (من قرأ حرفا من كتاب الله فله به حسنة، والحسنة بعشر أمثالها، لا أقول (الم) حرف، و لكن ألف حرف و لام حرف و ميم حرف.[10]

المسلمون مكلفون بالتواصي بالحق و التواصى بالصبر امتثالا بحكم هذه السورة الكريمة، و عملا بها و كان صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم يقومون بالتواصي بالحق و الصبر بينهم خاصة بعد نزول هذه السورة كما أخرج الطبراني والبيهقي فى شعب الايمان عن أبى مليكة، قال: (كان رجلان من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا التقيا لم يتفرقا حتى يقرأ أحدهما على الأخر سورة (والعصر، إن الانسان لفى خسر، إلى آخرها، ثم يسلم أحدهما على الآخر[11]).

يدل هذا الحديث على سياسة الصحابة عند التلاقي بينهم، كأنهم يقومون بالوصية بالحق والصبر، و إذا اجتمع هذه الصفات عند المسلمين و تحلى المسلمون بهذه الصفة الطيبة نجحوا فى الدنيا والآخرة، و بإضافة إلى ذلك يستحقون الأجر والثواب عند الله، لكن للأسف نحن بعيدين كل البعد عن مواصفات الصحابة عند لقاء بعضنا مع بعض، و لا

نراعي هذه الأداب الواردة عند التلاقى فى هذه السورة، إذا يجب علينا أن نتأمل فى هذه الصفات عند اللقاء و أن نقوم بواجبنا من التواصى بالحق والصبر تجاه المسلمين.

و من فضائل هذه السورة الاكتفاء بأقصر السور عند البلية فى الصلاة كما اكتفى عبد الرحمن بن عوف فى قراءة صلاة الفجر بسورة العصر والنصر حيث روى عن ميمون أنه قال: (شهدت عمر حين طعن فأمّنا عبد الرحمن بن عوف فقرأ بأقصر السورتين فى القرآن بالعصر و سورة النصر فى الفجر)[12]

و هذا ان دل على شئ فانما يدل على فضائل تلاوة قصار السور عند البلية أو المشكلة.

أو لعل عبد الرحمن بن عوف يرغب جماعة المسلمين و يحضهم على الصبر و يدعوهم الى التحمل – إعلانا لهم- عن طريق قراءة هذه السورة فى صلاة الفجر، لأن التذكير ينفع المسلين كما يقول تعالى: (و ذكر فان الذكرى تنفع المؤمنين) و قراءة هذه السورة أحسن تذكيرا للصحابة فى صلاة الفجر.

و لو تأملنا ما جاء فى هذه السورة من المسائل الدعوية لقلنا أنها جامعة لأصول الرسالة لأن الرسالة فى الحقيقة تنص على الايمان بالله وحده و الدعوة الى الأعمال الصالحة الطيبة و إلى التواصى بالحق و التواصى بالصبر، فهو خلاصة رسالة الأنبياء والمرسلين، يقول امام الشافعي حول أهمية هذه السورة و فضيلتها (لو تأمل الناس هذه السورة لكفتهم)[13]

و نقل الألوسي فى تفسيره مقال امام الشافعى قائلا (لو لم ينزل غير هذه السورة لكفت الناس، لأنها شملت جميع علوم القرآن)[14] و فى حديث آخر يقول عليه السلام (من فاته صلاة العصر فكأنما وتر أهله و ماله[15])

مقاطع هذه السورة:

المقطع الأول: تفسير كلمة (العصر)

أقسم الله عز وجل بزمان رسوله الذى فضله على الرسالة فى هذه البقعة من الزمان، كما أقسم سبحانه و تعالى بمكانه فى سورة البلد[16] قائلا (لا أقسم بهذ البلد، و أنت حل بهذا البلد) [البلد:١-٢] و هذا إن دل على شئ فانما يدل على مكانة رسول الله صلى الله عليه وسلم بين الأنبياء والمرسلين، حيث لم يحلف الله عزوجل بمكان الأنبياء و لا بزمانهم قبل ذلک.

اختلف المفسرون فى تفسير كلمة العصر، و إليک خلاصتها فيما يلي.

ألف: يقول الطبري فى تفسيره، العصر هو الدهر، و فى رواية عن ابن عباس العصر لحظة (ساعة) من ساعات النهار و فى رواية عن الحسن العصر معناه هو العشى[17].

ب: يقول القرطبى فى تفسيرة، باضافة ما أشار اليه الطبرى، (هو قسم بصلاة العصر[18])، و كذلک قيل فى معانى كلمة العصر هو قسم بعصر النبى صلى الله عليه وسلم لتجديد النبوة فيه أو هو قسم برب العصر[19].

ج: قال ابن كثير فى تفسيره، العصر (هو زمان الذى تقع فيه حركاة بنى آدم من خير و شر)[20].

د: قال الألوسى فى تفسيره، كلمة العصر تطلق على اليوم والليلة، و فى رواية عن ابن عباس رضى الله عنهما، هو الدهر (أقسم الله عزوجل به لاشتماله على أصناف العجائب...لتنبيه الانسان المستعد للخسران والسعادة.[21])

ھ: يقول صاحب نظم الدرر (العصر) هو زمان الذى خلق فيه أصله آدم عليه السلام حيث خلق فى عصر يوم الجمعة...(أو جميع الدهر الذى أوجد فيه سبحانه و تعالى المخلوقات و قدر فيه المقدورات) التى تدل على وجود البارى و على ما لله تعالى فى هذا الكون.[22]

لو تأملنا فيما ذكر المفسرون من أقوال الواردة فى تفسير كلمة العصر لوجدنا النقطة المشتركة فى تفسيرها و هى عبارة عن الزمان أو الوقت أو الدهر.

الزمان من أهم نعم الله تعالى، سخره لعباده ليستفيدوا منه فى أداء الواجبات و ما عليهم من المسؤليات، و نستطيع أن نصل الى الهدف المطلوب مستفيدين من هذا الزمان أو العصر. لكن للأسف ما استفدنا عن تسخير هذا الزمان مع أن الله يدعوننا الى الاستفادة من تسخير الكون والزمان فى قوله تعالى (و سخر لكم الشمس والقمر دائبين و سخر لكم الليل والنهار) [ابراهيم:٣٣]

سيسأل الله عباده يوم القيامة عن تلك النعم و ذاک التسخير كما يقول تعالى: (و لتسئلن يومئذ عن النعيم) [التكاثر:٨]

لعل عدم الاستفادة عن هذا التسخير الرباني ناشئ عن عدم معرفة مسؤليتنا تجاه الله والكون والزمان، إذا كيف نستطيع أن ندرک مسؤليتنا و نعرف واجبنا فى هذا الكون المسخر؟

نقول قبل الاجابة على هذا السؤال تعالوا نفكر فى الأسئلة التالية اولا ثم نجيب على السؤال السابق، و هو معرفة المسؤلية فى هذا الكون.

١- من خلقنا؟

٢- و لماذا خلقنا؟

٣-و أين موقفنا فى هذا الكون والخلق؟

الإجابة على السؤال الأول واضحة، الله خلقنا و خلق هذا الكون كله كما يقول تعالى: (يأيها الناس اعبدوا ربكم الذى خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون) [البقرة:٣١]

و يقول تعالى: (يأيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة و خلق منها زوجها و بث منهما رجالا كثيرا و نساءا) [النساء:١]

و كذلک يشير إلى كونه خالق الكون والبشرية بأسرها قائلا (يأيها الناس انا خلقناكم من ذكر و أنثى) [الحجرات:١٣]

فعرفنا بالجزم أن الله سبحانه و تعالى هو خالق هذا الكون و بارئه و لا يشركه أحد فى الخق والملک.

أما الاجابة على السؤال الثاني فهو مذكورة فى كتابه الكريم، يقول تعالى: (و ما خلقت الجن والانس إلا ليعبدون) [الذاريات:٥٦]

فالهدف الأساسي من خلق هذا الكون والانسان هو عبادة الله سبحانه و تعالى بمفهومه الواسع لجميع جوانب الحياة البشرية. و أما موقفنا فهو المقام الأعلى فى هذا الكون والإنسان فى رأس هذا الموكب حيث يقود قافلة الحياة كيف يشاء و كفاه منزلة فى هذا الكون أن الله خلقه بيده ثم نفخ فيه من روحه فقعوا له ساجدين.

فالانسان هو مسجود الملائكة و الملائكة أشرف مخلوقات الله فى الكون و هذا إن دل على شئ فإنما يدل على مكانته العالية المرتفعة. فمن هنا عرفنا مسؤليتنا فى هذا الكون و هى عبارة عن العبادة والاطاعة. إذا يجب علينا أن نركز على هذه المسؤلية التي لأجلها خلقنا.

المقطع الثاني: خسران الانسان:

بعد توضيح المقطع الأول و هو كلمة العصر و ما تحملها هذه الكلمة من المعاني والمفاهيم، نريد الآن أن ألفت أنظاركم إلى المقطع الثاني من هذه السورة و هو قوله تعالى: (إن الانسان لفى خسر) هذا هو جواب القسم أو المقسم عليه كما صرح به الزجاج[23] بعد ما أقسم عل العصر.

اختلف المفسرون حول تفسير الانسان فى قوله تعالى: (ان الانسان لفى خسر) و اليک آرائهم كالآتى:

1. جاء فى تفسير مجاهد، المراد من الانسان هو الناس، يقول مجاهد فى تفسيره، أى آدم و بنيه.24 كما يؤيد هذا المفهوم الإمام الطبري فى تفسيره أن ابن آدم لفى هلكة و نقصان.[25]
2. قال الثعالبى فى تفسيره، الانسان هو اسم جنس[26].

قال امام الرازى فى تفسير كلمة الخسر قائلا: (يمر به العصر فيمضي عمره و لا يكتسب فاذا هو خاسر[27])

3. و فى رواية عن ابن عباس أن المراد من الانسان (جماعة من المشركين كالوليد بن مغيرة، والعاص بن وائل) و غيرهم من المشركين[28].
4. يقول ابن عرفة فى تفسيره، يحتمل أن يكون الانسان عاما[29]. كما يؤيد هذا القول الامام السيوطى فى تفسيره قال: (الناس كلهم[30])
5. قال الشوكانى فى تفسيره المراد بالانسان (الكافر) و قيل جماعة من الكفار.[31]

والذى أميل اليه هو ما قاله امام مجاهد، (الناس). أو ما صرح به السيوطى (الناس كلهم).

هذا ما قاله المفسرون حول تفسير الانسان، أما الأقوال الواردة فى تفسير الخسر، فهى كالآتى:

الأول: يقول مجاهد: (المراد من الخسر هو الضلال[32])

الثاني: قال الطبرى فى تفسيره، (أن ابن آدم لفى هلكة و نقصان)[33]

الثالث: قال صاحب تفسير جواهر الحصان فى تفسيره، (المراد منه الخسر والنقصان و سوء الحال).

الرابع: يقول الشوكانى فى تفسير قوله تعالى (لفى خسر) هذا هوا جواب القسم، الخسر والخسران، النقصان و ذهاب العقل.[34]

الخامس: يشير محمد، محمد بن عبد اللطيف بن الخطيب صاحب أوضح التفاسير الى سبب الخسران قائلا: (لأنه يفضل العاجلة على الآجلة)[35]

المقطع الثالث: (إلا الذين آمنوا و عملوا الصالحات):

هو قوله تعالى (إلا الذين آمنوا و عملوا الصالحات) يقول الطبرى فى تفسير هذه القطعة من السورة، أى ابتعد عن الخسران و نجا منه من آمن بالله و صدقوا الله و وحدوه و أقروا له بالتوحيد والطاعة و عملوا الصالحات و أدوا ما عليهم من الفرائض والواجبات، واجتنبوا ما نهاهم الله عزوجل من النواهى.[36]

و يؤيد الامام ابن كثير ما أختاره الطبرى فى تفسير هذه القطعة فى عبارته الخاصة، و هى أن الله سبحانه و تعالى استثنى من الخسران الذين آمنوا بقلوبهم و عملوا الصالحات بجوارحهم.[37] كذلک أشار الى نفس المفهوم الدكتور وهبة الزحيلى فى تفسيره قائلا أنقذ الله من الخسران من جمع بين الايمان والعمل الصالح (فإنهم فى ربح لأنهم عملوا للآخرة و لم تشغلهم أعمال الدنيا عنها)[38]

هذا ما قاله المفسرون حول فوائد الايمان والعمل الصالح فالمؤمن و صاحب العمل الصالح فى مأمن من الخسارة والنقصان لأن الايمان لا يجمع فى طيّاته الخسارة والنقصان، كما يقول عليه السلام (عجبا لأمر المؤمن فان أمره كله له خير، و ليس ذلک إلا لمؤمن، فان أصابته الضرآء صبر فهو خير له، و ان أصابته السرآء شكر فهو خير له[39]) فعلينا أن نفكر أين نحن من الايمان والعمل الصالح. نحن للأسف ما قمنا فى حياتنا اليومية بمقتضيات الايمان والعمل الصالح، بل نتبع النفس والهوى، لذلک أذلنا الله عزوجل، فالعلاج هو رجوع إلى الله والعمل بكتاب الله و سنة نبيه صلى الله عليه وسلم.

المقطع الرابع: (و تواصوا بالحق و تواصوا بالصبر):

يبشر الله المؤمنين بأنهم فى أمان من الخسارة والنقصان بعد ما آمنوا و عملوا الصالحات و قاموا بعد هذين الصفتين (الايمان والعمل الصالح) بالصفة الثالثة والرابعة و هى تواصى بالحق و تواصى بالصبر.

يقول إمام الطبرى فى تفسيره فيما ينقله عن قتادة و عن الحسن حوال تواصى بالحق، أن المراد من الحق هو كتاب الله.[40] يعنى يدعوا الناس إلى الامتثال بأوامر الله و ينهاهم عن المعاصى و مخالفة شرع الله تعالى، من قام بهذه المهمة فكأنه قام بالوصية بالحق أى الدعوة الى الكتاب الكريم.

فسر إمام الرازى (التواصى بالحق) و قال: يدخل فيه سائر الدين من علم و عمل، أما التواصى بالصبر فيدخل فيه (حمل النفس على مشقة التكليف فى القيام بما يجب)[41]. ثم يقول الرازى، من أتى بهذه الأشياء المذكورة الأربعة الواردة فى هذه السورة فقد نجا من الخسارة والنقصان و هى الايمان و العمل، و التواصى بالحق و التواصى بالصبر، فدل ذلک على أن النجاة معلقة بمجموع هذه الأمور.[42]

قال الإمام الماتوريدى فى تفسير (الحق) فى قوله تعالى: (و تواصوا بالحق)، (الحق فى الأصل كل ما يحمد عليه فاعله، و الصبر هو الكف عن كل ما يذم فاعله فـ(ال تواصى بالحق هو التواصى بكل ما يحمد عليه فاعله و (ال تواصى بالصبر هو (ال تواصى عن كل ما يذم عليه)43.

أما الإمام ابن كثير فهو يعبر عن التواصى بالحق أن المراد منه هو أداء الطاعات و ترک المحرمات، والمراد (بالصبر) هو الصبر على المصائب والأقدار[44].

فسر المظهرى (الحق) بالمعروف كما فسره الحسن و قتادة بالقرآن و عند مقاتل (الحق) هو الايمان والتوحيد، والصبر هو كف النفس عن المنكرات أو المراد منه مطلق الصبر على الطاعات والمصائب...فالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر واجب من تركه كان من الخاسرين.[45]

تعالوا نتأمل فى هذا المقطع من السورة، هل قمنا بالوصية بالحق و هو عبارة عن الدعوة إلى القرآن أو هل قمنا بالصبر فى النوائب.

و هل دعونا الناس بالتحلى بهذه الأخلاق الطيبة و هى الدعوة إلى الصبر والاستقامة فى نوائب الدهر و حوادث الزمان، فعلينا أن نردد المواصفات الأربعة و نتحلى بها التى ذكرت فى هذه السورة و هى عبارة عن الايمان الذى هو ملاك المؤمن والعمل الصالح الذى هو الوسيلة التى نفرق به بين المؤمن والكافر، والوصية بالحق والصبر من ميزات المؤمنين الذين خصهم الله بهذه الأوصاف فهذه الأوصاف الأربعة الواردة فى هذه السورة هى خلاصة الشريعة الاسلامية و ملاك أمورها فمن تحلى بها فقد فاز فوزا كبيرا و من تركها و نسيها فقد خسر خسرانا مبينا.

نسأل الله سبحانه و تعالى أن يجعلنا من العاملين المتمسكين بهذه الصفات الطيبة بعيدين كل البعد عن الصفات القبيحة السيئة التى لا يليق بشأن المؤمن.

المناسبة بين مقاطع (فواصل) هذه السورة فهى فيما يلى:

ذكرنا فى المقطع الأول بأن الله أقسم بالعصر و هو يدل على أهمية المقسم به والمقطع الثانى عبارة عن جواب القسم (مقسم عليه) و هو أن الانسان لفى خسر و نقص والمناسبة بينهما واضحة و هى أن العصر والانسان كلاهما مخلوق لله عزوجل. والمقطع الثالث عبارة عن قوله (الا الذين آمنوا و عملوا الصالحات) استثنى الله عزوجل من الخسارة الذين يؤمنون بالله و يعملون الصالحات. والمناسبة بين المقطع الثانى والثالث ظاهرة و هى أن الانسان لفى خسر بصفة عامة لكن المؤمنين منهم ليسوا فى خسران و نقصان.

المقطع الرابع، نجد فى هذا المقطع بأن المؤمنين بإضافة صفة الإيمان فإنهم يقومون بالتواصى بالحق و التواصى بالصبر، و إنهم فى أمن من الخوف والنقصان تأسيا بقوله تعالى (الذين آمنوا و لم يلبسوا إيمانهم بظلم أولئک لهم الأمن و هم مهتدون) [الأنعام:٨٢]

٤– المناسبة بين سورة العصر والسورة التى قبلها و بعدها (المناسبة بين سورة السابقة واللاحقة):

قبل الخوض فى البحث حول المناسبة بالسورة السابقة من سورة العصر واللاحقة بها نحب أن نقف لحظة مع المناسبة لغة و اصطلاحا:

الف: المناسبة فى اللغة عبارة عن المقاربة والمشاركة أو المشاكلة.

ب: و فى الاصطلاح هى عبارة عن الرابطة بين شيئين بأى وجه من الوجوه.

و معنى المناسبة فى كتاب الله تعالى عبارة عن الربط والصلة بين السور والآيات. أو بعبارة أخرى هى ارتباط السورة بالسابق واللاحق (أى بما قبلها أو ما بعدها).[46]

لو تأملنا المناسبة أو الربط (أو النظم) بين سورة العصر و سورة التى قبلها لوجدنا المناسبة أو الربط فى النقاط التالية:

1. كلا السورتين من السور المكية.
2. نجد فى سورة التكاثر الرد على الغافلين من الآخرة الذين يحبون التفوق والتكاثر فى كل شئ من الأموال والأولاد، و يتنافسون مع أقرانهم فى هذا المجال و ينسون الآخرة و فى السورة العصر الإهتمام بملاذ الدنيا الموقت و عدم الإهتمام بالآخرة، لذلک عبر عن هذا الإهتمام المادى بالخسران والنقصان.

3. التركيز على الآخرة والإهتمام بها فى سورة التكاثر والوعيد إلى من ترک الآخرة و بذل أقصى جهده لصالح الدنيا.

و فى سورة العصر إشارة إلى خسارة الإنسان و نقصانه و سيرى الإنسان نتيجة هذه الخسارة و عقوبتها يوم القيامة.

4. المحاسبة والسؤال عن النعم حق ذكرت فى سورة التكاثر، أما نتيجة هذه المحاسبة فأشير إليها فى سورة العصر.
5. كلا السورتين تشيران إلى نعم الله الواسعة فى هذا الكون فى قوله تعالى (ثم لتسئلن يومئذ عن النعيم) و كذلک الوقت والزمان من أهم أسباب النعم، لكن الإنسان لا يفكر فى أهمية الوقت و هو فى غفلة منه.

هذه هى خلاصة المناسبة بين سورة العصر والتى قبلها. أما المناسبة بين سورة العصر و سورة التى بعدها و هى سورة الهمزة فهى فيما يلي:

هذه نماذج من المناسبة بين سورة العصر والتكاثر.

أما المناسبة بين سورة العصر والتى بعدها و هى سورة الهمزة، فهى كالآتي:

1. كلاهما من السور المكية و هما تركزان على التوحيد والإيمان بالرسالة والآخرة.
2. المحور الأساسى فى كليهما هو الإنسان، حيث عبر عنه فى الأولى (سورة العصر) بأنه لفى خسر و فى الثانية وصفته بالويل والهلاک الذى جمع مالا و ظن أن ماله أخلده فى الدنيا، كلا، أى ليس الأمر هكذا، بل ليدخلنه ماله فى النار الموقدة.
3. يوجد فى الأولى (سورة العصر) أسلوب الوعد والوعيد، المعبر عنه بالخسر و ذكر سبب الفوز والنجاة، أما فى الثانية (سورة الهمزة) مليئة بالوعيد ألمثل فى الويل والانباذ فى النار الحطمة، التى تصل إلى الأفئدة.
4. ذكر الخسر فى سورة الأولى مجملا، و فصل فى الثانية بالويل والدخول فى النار التى تصل و تستوعب القلوب فى أبشع شكل و صورة.
5. سورة العصر تحدث عن خسارة الإنسان و سورة الهمزة تشير إلى تلک الخسارة الممثلة بعذاب النار.

٥– ما يستنبط من هذه السورة من المسائل والأحكام:

نريد أن نشير الى ما يستفاد من المسائل المستنبطة من خلال دراستنا لهذه السورة و هى فيما يأتى:

١– المراد بالإنسان فى هذه السورة جميع الناس و هو من باب اطلاق البعض و إرادة الكل.

٢– التنكير فى خسر للتعظيم أى فى خسر عظيم.

٣– التكرار فى التواصى بالحق والصبر لأهمية هذين الصفتين.

٤– و تواصوا بالصبر بعد قوله بالحق تخصيص بعد التعميم، لأن الصبر داخل فى عموم الحق و لكنه خص بالذكر لبالغ الاهتمام به.

٥– الذين اشتروا الآخرة بالدنيا فليسوا فى خسران بل فازوا للحياة الأبدية والسعادة الدائمة.

٦- المسلمون مكلفون بالتواصى بالحق بما لا مجال لإنكاره من إيمان و خير و فضيلة.

٧- ذكر الله سبحانه و تعالى سبب الربح و هو الإيمان والعمل الصالح و هما هدف المؤمن و ما عداهما يؤدى إلى الخسران والنقص.

٨- القسم بالعصر (الدهر) يدل على شرفه و أهميته كما يقول عليه السلام (لا تسبوا الدهر فان الله هو الدهر[47]).

٩- و لو أخذنا معنى العصر بصلاة العصر فيؤخذ منه أن عمر الدنيا الباقى هو ما بين العصر إلى المغرب.

١٠- الإيمان بالله والعمل الصالح و التواصى بالحق والصبر من أعظم الأمور و أهمها فى حياة المسلم، لذلك يجب رعايتهما.

١١- الصبر يشمل احتمال الطاعات و إجتناب المنكرات و تحمل المسائل.

١٢- الإنسان و إن ربح الأموال الضخمة الواسعة فهو فى خسارة محققة إن لم يعمل لآخرته.

١٣- أقسم الله بالعصر لدلالته على الصانع و وحدانيته و كمال قدرته التى تظهر أحيانا بعد مرور الزمان.

١٤- ينجو من الخسارة والعقوبة من أتى بتلك الأمور الأربعة فى حياته اليومية و هى الإيمان، والعمل الصالح و التواصى بالحق والصبر.

١٥- فعلينا أن نتحلى بتلك الصفات المحمودة الواردة فى هذه السورة و إلا ألقينا أنفسنا إلى المهلكة.[48]

الهوامش والمصادر:

[1]: روح المعاني للألوسي (٤٥٧/١٥) و التفسير المظهري (٣١٧/١٠)

[2]: بيان المعاني لعبد القادر بن ملا حويش السيد محمود آل غازي(١٦٣/١)، دمشق الطبعة الأولى

[3]: مباحث فى التفسير الموضوعي لدكتور مصطفى مسلم صـ١٧ دار القلم، دمشق

[4]: صحيح البخارى (٣٧/٥) و مسلم (١٢/١)

[5]: التفسير الموضوعى للقرآن الكريم و نماذج منه ص ١٢.

[6]: مباحث فى التفسير الموضوعى صـ١٥

[7]: التفسير الموضوعى للقرآن الكريم و نماذج منه ص ١٢.

[8]: مباحث فى التفسير الموضوعي صـ١٧

[9]: المستدرک الهندية (٥٥٤/١) هذا حديث صحيح الأسناد لم يخرجاه.

[10]: الجامع الصيحيح سنن الترمذي (١٩٥/٥)، قال أبو عيسى، هذا حديث حسن صحيح، غريب، و قال شيخ ألباني صحيح، تحقيق أحمد شاكر، دار أحياء التراث العربي.

[11]: مجمع الزوائد للهيثمى (١٤/٤) و السلسلة الصحيحة للشيخ الألبانى (١٥٠/٦)

[12]: الدر المنثور للسيوطي (٦٢١/٨) دار الفكر، بيروت

[13]: أضواء البيان لمحمد أمين شنقيطي (٢٩٥/٩)

[14]: تفسير الألوسي (٤٥٧/١٥) دار الكتب العلمية، بيروت

[15]: مسند أحمد بن حنبل (١٠٢/٢) اسناده صحيح على شرط شيخين.

[16]: تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٤٨٠/٨)

[17]: الطبري (٥٨٩/٢) والقرطبي (١٧٩/٢٠)

[18]: القرطبي (١٧٩/٢٠)
[19]: القرطبي (١٧٩/٢٠)
[20]: تفسير القرآن العظيم (٤٨٠/٨)
[21]: تفسير روح المعاني (٤٥٧/١٥)
[22]: نظم الدرر فى تناسب الآيات والسور للسيوطى (٢٣٦/٢٢) دارالكتب الاسلامي، القاهرة.
[23]: زاد المسير لابن الجوزى (١٨٨/٦)
[24]: تفسير المجاهد (٥٢٤ ص)
[25]: تفسير الطبري (٥٨٩/٢٤)
[26]: جواهر الحصان فى تفسير القرآن (٢٨١/٤)
[27]: تفسير الرازي (١٩٦/١٧)
[28]: التفسير المنير للزحيلى (٣٩٤/٣٠)
[29]: تفسير ابن عرفة (٣٤٦/٤)
[30]: الدر المنثور (٣٤٦/١٠)
[31]: فتح القدير (٥٦/٨)
[32]: تفسير المجاهد (٥٢٤ ص)
[33]: تفسير الطبري (٥٨٩/٢٤)
[34]: فتح القدير (٥٦/٨)
[35]: أوضح التفاسير لمحمد عبد اللطيف (٧٦١/٨) الطبعة السادسة المطبعة المصرية
[36]: تفسير الطبري (٥٩٠/٢٤)
[37]: ابن كثير (٤٨٠/٨)
[38]: التفسير المنير (٤٩٤/٣٠)
[39]: مسند أحمد بن حنبل (٣٣٢/٤) و صحيح ابن حبان (١٥٥/٧) تحقيق شعيب الأرنووط
[40]: الطبرى (٥٩٠/٢٤)
[41]: تفسير الرازى (٢٠١/١٧)
[42]: تفسير الرازى (٢٠١/١٧)
[43]: التفسير الماتوريدى (٦١٢/١٠)
[44]: ابن كثير (٤٨٠/٨)
[45]: التفسير المظهرى (٣٣٧/١٠)
[46]: مباحث فى التفسير الموضوعى ص ٥١.
[47]: صحيح مسلم (٣١٣/١١)
[48]: التفسير المنير (٣١٥/٣٠)

- ابن حبان، عز الدين بن على بن عبد العزيز، صحيح ابن حبان، تحقيق شعيب أرنووط
- ابن كثير، حافظ أبو الفداء عماد الدين،تفسير القرآن العظيم، بيروت
- أحمد بن حنبل، مسند أحمد بن حنبل
- الألبانى، محمد ناصر الدين، سلسلة الأحاديث الصحيحة

- الألوسی، شهاب الدین محمود بن عبد الله، روح المعانی فی تفسیر القرآن العظیم والسبع المثانی، المحقق: علی عبد الباری عطیة، دارالکتب العلمیة، بیروت
- آل غازی، عبد القادر بن ملا حویش السید محمود، بیان المعانی، دمشق
- البخاری، محمد بن اسماعیل أبو عبد الله، الجامع الصحیح المسند من حدیث رسول الله صلی الله علیه وسلم و سننه و أیامه
- التابعی، مجاهد بن جبر، تفسیر مجاهد، تحقیق: عبد الرحمن الطاهر محمد، بیروت
- الترمذی، أبو عیسی محمد بن عیسی، الجامع الصحیح سنن الترمذی، تحقیق أحمد شاکر، دار أحیاء التراث العربی
- الثعالبی، أبو زید عبد الرحمن بن محمد الشیخ محمد علی، جواهر الحسان، بیروت، لبنان، الطبعة الأولی
- ثناء الله، محمد، التفسیر المظهری، المحقق: غلام نبی التونسی، مکتبة الرشیدیة باکستان
- الجوزی، عبد الرحمن بن علی بن محمد، زاد المسیر فی علم التفسیر
- الرازی، أبو عبد الله محمد بن عمر بن حسن،مفاتیح الغیب (التفسیر الکبیر)، دارأحیاء التراث العربی، بیروت، الطبعة الثالثة
- الزحیلی، وهبة، التفسیر المنیر فی العقیدة والشریعة والمنهج، بیروت
- الزهرانی، أحمد بن عبد الله، التفسیر الموضوعی للقرآن الکریم و نماذج منه، الجامعة الإسلامیة بالمدینة المنورة
- السیوطی، عبد الرحمن بن أبی بکر جلال الدین، نظم الدرر فی تناسب الآیات والسور، دارالکتب الاسلامی، قاهره
- السیوطی،عبد الرحمن بن أبي بکر جلال الدین، الدر المنثور، دارالفکر، بیروت
- شنقیطی، محمد أمین، أضواء البیان فی ایضاح القرآن بالقرآن، تحقیق مکتب البحوث والدراسات، بیروت، ۱۹۹۵
- الشوکانی، محمد بن علی بن عبد الله، فتح القدیر، بیروت
- الطبری، محمد بن جریر أبو جعفر الطبری، جامع البیان فی تأویل القرآن، المحقق أحمد شاکر، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولی
- لطیف، عبد، أوضح التفاسیر، الطبعة الأولی، مصر
- الماتوریدی، محمد بن محمود أبو المنصور، تفسیر الماتوریدي، المحقق مجدی باسلوم، بیروت
- المالکی، أبو عبد الله محمد بن محمد بن عرفة، تفسیر ابن عرفة، دار النشر، تونس، الطبعة الأولی
- مسلم، مصطفی، مباحث فی التفسیر الموضوعی، دار القلم، دمشق
- النیسابوری، الحاکم، المستدرک الهندیة
- النیسابوری، مسلم بن حجاج، صحیح مسلم، تحقیق: محمد فؤاد عبد الباقی، دار أحیاء التراث العربی، بیروت
- الهیثمی، نور الدین علی بن أبی بکر، مجمع الزوائد و منبع الفوائد، بیروت، لبنان ۱۹۸۸